*كلية الآداب واللّغات*

*قسم اللّغة العربية*

*المحاضرة الثّانية:*

*تأثير الموشّحات الأندلسية في شعر "التروبادور"*

*الأستاذ: م.شيراني*

*مقدمة:*

"التروبادور" هو نوع من الشعر -غير الرسمي- انتشر بشكل كبير في جنوب فرنسا و شمال ايطاليا واسبانيا في القرن الثاني عشرو الثالث عشر للميلاد.

 أصبح موضوع التروبادور من أهم موضوعات الدراسة الاديبة المقارنة في العصر الحديث ، فهو عند الباحثين -الأوربيين بصفة خاصة- يعتبر حجر الأساس في كل بحث يستهدف التعرف على أصول الشعر الغنائي الأوربي.

 و كان لأهاليProvenceتسمى المنطقة التي انتشر فيها هذا النوع من الشعر منطقة "البروفانس"  ***:التسمية***

هذه المنطقة لغة خاصة بهم تختلف عن اللغات الأوربية الأخرى ، وعليه فان هناك من قال بان في لغة البروفانسيين التي تعني وجد و ابتكر، trobarكلمة "تروبادور" تعود للفعل تروبار

" بإرجاعها الى Troubadour وتطورت هذه الكلمة عند الفرنسيين فصارت في لغتهم الحديثة "

 بمعنى وجد ، وهناك من حاول ارجاعها الى أصول لاتينية لكن بدونtrouver المصدر

أدلّة ثابتة.

 و هما كلمتان من اصل Trubarويرى أصحاب نظرية الأصل العربي للكلمة أن تروبادور من تروبارعربي اشتقتا من فعل طرب او طرّب بتشديد الراء بمعنى تغنّى، فهي عندهم تركيب من صف

 :كان شائعا في الاصطلاح الموسيقي الأندلسي القائل

دور طرب ثم وضعت الصفة قبل الموصوف فقيل طرب دور أوترابادور.

 وذكروا أن تروبار قد تكون من فعل ضرب في العربية، الذي شاع استعماله عند الأندلسيين بمعنى عزف الموسيقى ، و أضاف اليه الاسبان حرفي "آر" تمشيا مع قواعد لغتهم في مصادر الأفعال،

وقالو ضروبار أو طروبار.

 والحق أن الأصل العربي لكلمة "تروبادور" له ما يؤيده من حقائق تاريخية و تفسيرات منطقية وذلك في المبنى و في النطق أيضا .

:أهمية الموضوع

تعدّ مدرسة التروبادور العمود الفقري في الأدب البروفانسي لا تستقيم الدّراسة الّا بدراستها.

واذا كان التّروبادور قد خرجوا في النّهاية من طي النّسيان مع مطلع القرن السّادس عشر ميلادي ، فالفضل في (1265-1321)Dante ذلك يعود لمقلديهم من الايطاليين ، حيث وجّهوا اهتمامهم نحو معرفة أصول أشعار دانتي

" (1304-1374) اللّذان لم يخفيا اعجابهما الشّديد بشعر التّروبادور. Petrarca وأشعار "بيتراركا

:وهكذا بدأت عناية المقارنين الايطاليين بموضوع التّروبادور ، وظهرت فيه بواكير المؤلفات من أهمها

كتاب طبيعة الحب لمؤلفه ماريو ايكيكولا الذي نشر عام 1525 .

وفي سنة 1575 ظهر في فرنسا كتاب "حياة أشهر وأقدم الشّعراء البروفانسيّين "، ألّفه أحد أبناء بروفانس وهو "جون دونو ستروداع" الذي كان على علم بما توصّل اليه الباحثون الايطاليّون من نتائج. وبينما كانت الدّراسات البروفانسية تكاد تكون خلال القرن السّابع عشر محصورة في فرنسا وايطاليا نراها مع بداية القرن الثامن عشر تنتشر في ألمانيا لتعمّ بعد ذلك جميع أقطار أوروبا.

:حركة التّروبادور

ظهرت طلائع التّروبادور في مكان معين هو اقليم بروفانس بجنوب فرنسا ، ونشطت حركتهم في فترة زمنية محدودة ما بين سنة 1101 و 1292 للميلاد تقريبا ، وأحصى التّاريخ أفراد هذه الحركة كالقافلة الطّويلة يفتتحها غيوم دوق أكيتانيا التّاسع وكونت بواتيه السّابع 1071-1127 ويختتمها جيروت ديكي النّارجوتي 1254-1292 وهو آخر كبار التّروبادور.

الا جزءا من وصن التروبادور الواسع الأرجاء والمعروف باسم وطن لغة "أوك"Provinces ولا يشكل اقليم

أو "أوكسيتانيا" والذي يمتد من نهر الرّون شمالا الى جبال البرانس جنوبا ، ومن جبال الألب شرقا الى المحيط الأطلسي غربا. وان كانت أقاليم هذا الوطن في ذلك العصر لم ترتبط ببعضها في وحدة سياسية، فقد كانت تجمعها وحدة حضارية وثقافية ولغوية، بالإضافة إلى الشّعور بوحدة قومية متميّزة عن شمال فرنسا نفسها. وقد انعكس هذا الشعور في شعر التّروبادور، حيث عبّروا عن كراهيتهم للفرنسيّين - سكّان الشّمال – واعتبروهم برابرة متوحشين.

وقد اعتنى كثير عند المتخصّصين في الدّراسات البروفانسية بإحصاء عدد التّروبادور فذكروا ما يزيد عن أربعمئة وخمسين من المعروفين بأسمائهم ، منهم النبلاء والملوك والأمراء.

ولم تخلو حركة التّروبادور من نساء شاعرات فهناك سبع عشرة تروبادورة أميرات ونبيلات ومن أوساط مختلفة في المجتمع البروفانسي.

وقد كان لكلّ تروبادور تلميذ أو تلاميذ يأخذون عنه، وتكون مقياس عام أو نوع من القانون الشّعري يتوارثه خلفا عن سلف ويلتزمه كل تروبادور مجيد، ومن هنا ظهرت العناية بالشّكل الشّعري ، فصار الشّعر عندهم صناعة ، بنى البيت الشّعري ، وطرّقه ، وزيّنه ، وجوّده وغير ذلك من ألفاظ العمل الصناعي. :وردّدت ألسنتهم عبارات

واستمرّت حركة التّروبادور وامتدّ عصرهم طيلة القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر للميلاد، فشبّهه بعض الباحثين الأوروبّيين بفصل الرّبيع المبكّر في تاريخ الحياة الثّقافية الأوروبّية.

:خصائص شعر التروبادور

كان التروبادور يصنعون شعرهم في الغزل للغناء ، ويحتقرون الشّاعر منهم إذا قرأ شعره إنشادا غير مصحوب بالموسيقى ، أو وضع قصيدته قالبا للقصص والحكايات غير الغرامية ، فكتومات شعر التروبادور الأساسية النّغم الموسيقي والشّكل العرضي ، والمضمون الغرامي ، و إذا كان لابدّ من المفاضلة بين هذه العناصر فإنّ :هي

الموسيقى يكون لها الحظ الأوفر في فن التروبادور.

إنّ الطّابع الرّئيسي لموسيقى التّروبادور هو الأنغام المطربة المرحة التي يتردد صداها في الأوساط الشعبية، و إذا ما استعرضنا أغاني التروبادور الباقية من غيوم التاسع إلى جيرون ريكي وعددها ألفان وسبعمئة قصيدة ، تبينا مراحل تطوّر الأشكال أو القوالب العروضية تبعا لتطوّر الموسيقى والأداء الصوتي وقد أحصى بعضهم أنواع المقاطع المختلفة التي استخدمها التروبادور فوجدوا 817 نوعا من المقاطع ، rimes والقوافي syllabesوالأشطر strophes

و1422 نوعا من أشطر الأغصان ، و 1001 نوعا من القوافي.

:تتكوّن قصائد التروبادور الأوائل في الغالب من ست أو سبع مقطوعات وكلّ مقطوعة تتكوّن من جزئين

هو ما يعرف بالغصن، والغصن ثلاثة أشطر فأكثرها تنتهي بقواف متماثلة. :الأول

هو القفل الذي تتفق قافيته مع قافية نظيره في كلّ مقطوعة ، ويتكوّن من شطر أو شطرين ، والقفل :والثاني

النّهائي في آخر مقطوعة من القصيدة هو الخرجة. ومن أمثلة ذلك مقطوعة لتروبادور الأول غيوم التّاسع ويقول :فيها

بما أن لي شوقا إلى الغناء

سأنظم أغنية للتّعبير عن آلامي

له أكون أبدا أشير إلى عشقي

لا في بواتر ولا في ليموزين

أما من ناحية المضمون فقد تنوّعت أغراض شعر التروبادور تنوّعا لم يبعده عن طابعه الأساسي العام، وهو تعبير الشّاعر الفارس عن عشقه للسّيدة الجميلة. و إذا تركنا جانبا بعض الأغراض الثانوية مثل المدح والهجاء والرّثاء :المبعثرة في قصائد معدودة وجدنا أهم الأغراض كالتّالي

:أ-الباسترويل أو الرعويّات

وهي قصائد قصور مغامرات غرامية بين الشّاعر الفارس أثناء سفر له وبين راعية غنم جميلة يصادفها في طريقه تغنّي وتجمع باقات الورود والأزهار. يقف الشّاعر فيحيّيها وتردّ التّحية ثم يكون حوار غرامي بينه وبينها ينتهي دائما بتمسّك المرأة بعفّتها والحفاظ على شرفها فيحترمها الشّاعر الفارس وينصرف عنها، ويعتقد النقاد أنّ الباستوريل هي أقدم الأغاني وأقربها إلى الشّعبية ، فهي تعدّ أغنية شعبيّة فنجدها عند التّروبادور الأوائل خاصّة.

alba:ب-الألبا أو الغجريات

وهي أغنية يتكرّر فيها ذكر كلمة الفجر في نهاية كلّ مقطوعة من القصيدة. يسهر الشّاعر العاشق ليلته مع معشوقته يتبادلان الشّق والهياع ولا ينتبه العاشق إلى وصول صديق وفيّ أو صوت طائر فيسرع العاشق إلى المغادرة آملا العودة من جديد.

:Tanso ج-التانسو أو المطارحات

وهي أغنية يستبعد النّقاد شعبيّتها على الرّغم من ارتباط موضوعها بالعشق غالبا، إذ تكتسب صورة المعارضات والمناظرات، فهي عبارة عن تناقش شعري بين شخصية خيالية حول مسألة مطروحة من مسائل الغرام والعشق.

ومهما يكن فالشّعر التروبادور في مجمله يغيض بعواطف العشق المهذّب بروح الشّهامة وأخلاق الفروسية والنّبل واحترام المرأة الجميلة العفيفة بوصفها رمزا حيّا للجمال الطّبيعي المحسوس والجمال الرّوحاني الخفيّ ، ممّا لم يكن له نظير في العالم المسيحي قبل ظهور التروبادور.

مصادر فنّ التروبادور:

لم يتردّد المعتّمون الأوّلون بشعر التّروبادور في اعتبار حضارة العرب والإسلام المصدر الأساسي لفنّ التّروبادور. فالباحثون الإيطاليّون الذين كانوا أشدّ الأوروبّيين محافظة على التّراث الثّقافي للعصر الوسيط اقتنعوا دائما بالأصل العربي الإسلامي للشّعر البروفانسي الذي هو بدوره مصدر الشّعر الإيطالي.

وفي القرن الثّامن عشر أصبحت هذه النّظرية حقيقية مسلّما بها ، وتوجّهت أنظار الدّراسة نحو تتبّع رحلة الشّعر العربي وتطوّره من المشرق إلى الأندلس، ومنها إلى جنوب فرنسا وأقطار أوروبّا. ومن أشهر هؤلاء الأسقف ماسيو، وخوان أندريس وغيرهما.

وام تلقى فكرة الأصل العربي لشعر التّروبادور أيّة معارضة إلاّ في منتصف القرن التّاسع عشر، حيث تحوّل كلّ من فئتي المستشرقين وتلامذته فقه اللّغات الرّومانسية عند هذا الرّأي بدعوى عدم وجود شواهد أو أدلّة خطّية تثبت حصول الاحتكاك بين إقليم بروفانس وإسبانيا. وموقف هؤلاء المعارضين في رأي الأستاذ "جب" هو موقف تحزّبي رجعي أملاه الشّعور الوطني المتنامي الذي شمل الشّعوب الأوروبّية بيد أنّه لا يبلّغ قوّة الصّمود أمام نظريّة المؤشّرات العربية.

وهدا ما يؤكّده "غوستاف فون غرنباوم" حيث يذكر أنّ انتقال نماذج الشّعر العربي من الأندلس إلى جنوب فرنسا هو التّطوّر الطّبيعي الذي تؤيّده الأحداث التّاريخية ، خاصّة ونحن نعلم أنّ كونت غيوم التّاسع الذي شارك في الحروب الصّليبية بالمشرق قد تأثّر تأثّرا بالغا بخصائص الشّعر العربي ، كما نعلم أيضا أنّ "ماركا برو" و "بيردي أوفارني" وهما شاعران قديران من مذيعي الأسلوب الجديد سافرا إلى إسبانيا وثبت أنهما تأثّرا بالمؤشّرات الأندلسية.

ويعتقد خوان أندريس أنّ "هذا الشّعر البروفانسي" إنّما ينتسب إلى العرب أكثر ممّا ينتسب إلى اليونان والآّتين إذ ام يكن لدى البرفانسيّين علم بهذين الأدبين في حين أنّ شعر العرب كان أقرب مورّد إليهم ، ويتعدّد في النّهاية أنّ قواعد التّقفّية التي تبعها الـشّعر الشّعبي ، إسبانيّا كان بروفانسيّا ، وأساليب صياغة الشّعر الحديث ونظمه، إنّما هي مأخوذة عن العرب ويصدق ذلك خاصّة على الشّعر البروفانسي.

وقد قام كلّ من "خوليان ريبيرا" و"مينديت بيدال" و"أ.و. نيكل" بدراسة عميقة للموضوع، وأسفرت بحوثهم عن نتائج تؤيّد بكلّ وضوح تبعيّة شعر التروبادور للموشّحات والأزجال الأندلسية خاصّة. ويقول بريفوليت: "وفي أيّامنا الحاضرة على الأخصّ تزايدت معرفتنا بذلك الأدب - أي العربي – " وتأثيره في البلاد المجاورة له إلى حدّ أنّه لم يعد مسموحا لنا أن نتمادى في التزام الصّمت إزاء هّه الحقيقة دون أن نعترف بغفلتنا.